# تأصيل التعليل
# عند النحويين القدامى والمحدثين

The rooting of the explanation for the ancient and modern grammarians

**د. زيد فزع عداي إبراهيم البرزنجي**
Dr. Zaid Faaz Adai Al-Barzanji

## الملخص

لم يختلف علم النحو في نشأته عن غيره من العلوم، إذ إمتزجت صيغه الوصفية القائمة على استقراء الشواهد من العرب إلى أن تطور ووصل الى ما وصل إليه، فكان السماع والقياس والتعليل هي الأصول النحوية التي استند إليها النحويون في إقامة نظريتهم النحوية، وإن تباينت طريقتهم في الاعتماد على هذه الأصول بين التشديد والتساهل .

فالقياس والتعليل ركيزتان أساسيتان، لجأ اليهما النحويون لتثبيت دعائم علم النحو، و أنّ التعليل ركنٌ ركين في فهم النظرية النحوية، ذلك أنَّ أغلب المسائل النحوية تحتاج إلى تعليل يوضّح سبب تقعيدها وما قد يؤول إليه أمرها من تفاصيل مبنية على أصل تقعيدها ، فكانت نشأة العلة استجابة للظروف والبواعث العربية الإسلامية معاً دون تأثير خارجي غير عربي وهو ما سنبينه في ثنايا البحث.

**Abstract:**

The science of grammar did not differ in its origin from other sciences, as its descriptive formulas based on extrapolation of evidence from the Arabs were mixed until it developed and reached what it reached. Relying on these assets between stress and leniency.

Measurement and reasoning are two main pillars, which grammarians resorted to to establish the foundations of grammar, and that explanation is a cornerstone in understanding the grammatical theory, because most grammatical issues need an explanation that explains the reason for their repetition and the details that may lead to them based on the origin of their tying. The Arab and Islamic conditions and motives together without a non-Arab external influence, which we will show in the folds of the research.

* * *

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين عدد أوراق الشجر وعدد قطر المطر والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيد البشروعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر.

أما بعد؛ فموضوع هذا البحث هو تأصيل التعليل في النحو عند النحويين، ويهدف البحث الى الوقوف على جهود العلماء في تقعيد النحو العربي من أحد مصادره المعتبرة وهو (التعليل)، ولهذه الظاهرة أثرها في الدراسات النحوية ودليل ذلك اهتمام النحويين بها قديماً وحديثاً وتقعيد القواعد والمسائل النحوية تبعاً لها، وتاريخ نشأة العلة ملازم لتاريخ نشأة النحو، والتأليف بدأ في القرن الثاني الهجري، وإن تطورها مرتبط بتطور النحو، فكما وضع النحو العربي لبواعث عربية خالصة منها الدينية للمحافظة على لغة القرآن الكريم، وعصمة اللسان من أنْ يلحن أو يخطئ في القراءة القرآنية، ومنها القومية للحفاظ على اللغة العربية وعلى مفرداتها وتراكيبها والنطق بها، من اللحن الذي دبّ على الألسن، بعد دخول أمم غير عربية في الإسلام ؛ لكون العرب تعتز بلغتها وتقدسها ،ومنها السياسية كرغبة الموالي بإتقان لغة العرب ؛ ليصلوا الى منازل أعلى في الدولة والمجتمع[١]، وسمّاه الحلواني عاملاً اجتماعياً[٢]، فكانت نشأة العلة أيضاً استجابة لهذه الظروف والبواعث العربية الاسلامية معاً دون تأثير خارجي غير عربي..

وأرجو أن أكون موفقاً في عرض أحد مصادر وأصول النحو العربي وتسليط الضوء عليه بما ينفع القارئ. فإلى صلب هذا البحث، راجياً النفع والفائدة للقارئ الكريم.

**أولاً : التعليل لغةً واصطلاحاً**

**١- التعليل لغة:** من (علّل)؛ لأن تعليل على وزن (تفعيل) أصله من علَّ الرجل يَعِلُّ من المرض[٣]، والعلّة بالكسر معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل، ومنـه سمي المرض علة، لأن بحلوله يتغير الحال من

(١) ينظر الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة : للدكتور تمام حسان : ص ٢٧، عالم الكتب، القاهرة مصر ،٢٠٠٠م.

(٢) ينظر المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه - د.محمد خير الحلواني الناشر : ص ٢٧، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٩٧٩م .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية : ٤٤/٣٠، مادة (علل).

القوة إلى الضعف[١].

والعلةُ الحدثُ يشغلُ صاحبَهُ عن وجهه، وكأن تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه عن شغله الأول[٢].

والعلة: السبب، وفي المحكم: وهذا علة لهذا، أي سبب له[٣]. والمعلل من يسقي مرة بعد مرة، ومن يجني الثمر مرة بعد مرة[٤].

ولعل أقرب المعاني اللغوية لمفهوم التعليل الاصطلاحي أن التعليل هو السبب والعلة والتفسير، والعلة هي الحدث يشغل صاحبه عن وجهه ووجهته .

**٢- التعليل اصطلاحاً:** التعليل هو بيان السبب أو التفسير وكشف المراد من اللفظ نحوياً سواء كان ذلك ظاهراً في المراد أو غير ظاهر[٥]. وهو تفسير اقتراني؛ لأن لعملية التعليل ركنين، هما العلة والمعلول، فالعلة دليل يقترن بالمعلول لتفسيره نحوياً ،ويسميها بعض النحويين سبباً أو وجهاً[٦].

والتعليل يبين علة الإعراب أو البناء ؛ إذ الألفاظ العربية لا تخرج عن كونها معربةً أو مبنية، والعلة في النحو هي الوصف الذي هو مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم. أو هو الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة[٧].

فبدأ التعليل تفسيراً أولياً تعليمياً ثم أصبح تفسيراً نظرياً ينسجم مع طبيعة العقل البشري الذي دأب على ربط الأشياء بعضها ببعض ربطاً عِلّياً، وينسجم مع طبيعة النفس التي تأنس بثبوت الحكم النحوي بالتعليل[٨].

---

(١) المصدر نفسه: ٤٧/٣٠.

(٢) لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ): الناشر: دار صادر - بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ: ٤٧١/١١، مادة (علل).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ١/ ٩٥.

(٤) تاج العروس : ٤٩/٣٠.

(٥) شرح المفصل للزمخشري- يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ): ٩/١، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(٦) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ).تحقيق: د. عبد الإله النبهان : دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م : ١/ ١٤٨-١٤٩.

(٧) النحو العربي - د. مازن المبارك، المكتبة الحديثة، بيروت، ط١، ١٩٩٥: ص٩٠ .

(٨) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين - د.حسن خميس سعيد الملخ : ص ١٦، دار الشروق، عمان -الأردن،٢٠٠٠م.

وقد أشار الدكتور علي أبو المكارم في كتابه أصول التفكير النحوي إلى ارتباط نشأة التعليل ببواعث عربية إسلامية[١].

**٣- أقسام العلل:** تناول القدامى العلة النحوية وجعلوها على ثلاثة أقسام، ويُعَدُّ أبو القاسم الزجاجي المتوفى (٣٣٧هـ)، أول من قسم العلل في كتابه الإيضاح. إذ يقول:(علل النحو على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية، فمن العلل التعليمية، قولنا: (إنَّ زيداً قائمٌ). إن قيل: بما نصبتم زيداً؟ قلنا ب(إنَّ)، لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر، لأننا لم نسمع كل كلام العرب وإنما سمعنا بعضه فقسنا عليه نظيره. فمن ذلك أنا سمعنا العرب تقول: قائمٌ زيدٌ فهو قائم، ورَكِبَ فهو راكبٌ، عرفنا اسم الفاعل فقلنا: ذَهَبَ فهو ذاهِبٌ.

وأما العلل القياسية فهي أن يسأل سائل عن علة نصب زيد بإنَّ. في قولنا: (إنَّ زيداً قائمٌ . والجواب في ذلك أن يقال: لأنها واخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فعملت عمله، فالمنصوب بها مشبه بالفعل لفظاً فهي تشبه من الأفعال ما قُدِّمَ مفعوله على فاعله.

وأما العلل الجدلية فهي كل ما يعتل به، زيادة على ذلك مثلاً أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية أم المستقبلة أم الحادثة في الحال؟ وهلا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله، لأنه هو الأصل وذلك فرع ثان)[٢]. والذي دفع النحويون الى الأخذ بهذه العلل أن العلة التعليمية كانت نتيجة الرغبة في تبسيط القواعد النحوية، أمَّا العلة القياسية فقد انبثقت عن رغبة النحويين في طرد الاحكام، أما العلة الجدلية فهي لا تصف الظواهر وإنما تبدأ بعد ذلك، تبدأ بالتعليل لكل هذه العلل وهي تنطلق من الفرض وليس من الواقع، وتهدف إلى تأييده عن طريق التدبير العقلي المنطقي[٣].

أما ابن جني فقد قسم العلل على أساس سلامة الحس والذوق اللغوي، فعلل النحو عنده على ضربين:(أحدهما واجب لا بد منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره، والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه له)[٤].

أما العلل الأخرى عنده فهي:(شرح وتفسير وتتميم للعلة الأولى، فإن تكلف جواباً عن هذا تصاعدت حدة العلل، وأدى ذلك إلى هجنة القول وضعف القائل به)[٥].

---

(١) ينظر اصول التفكير النحوي - د.علي ابو المكارم : ص ١٦٢، القاهرة ،دار غريب للطباعة والنشر ،٢٠٠٦م .

(٢) الإيضاح في علل النحو - أبو القاسم الزجاجي : ٦٤-٦٥، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.

(٣) ينظر اصول التفكير النحوي - د. علي ابو المكارم :١٧١-١٧٢.

(٤) الخصائص - أبو الفتح ابن جني : ١٧٣/١، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢.

(٥) المصدر نفسه: ٨٨/١.

**ثانياً : آراء أئمة النحو القدماء في التعليل**

سنعرض في هذا المطلب جهود النحاة في مجال التعليل وسنبدأ بإمام النحو ومعلِّله عبد الله بن أبي اسحاق.

**١) عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (١١٧هـ)**

هو النحوي البصري الذي يمثل نقطة التحول في النحو العربي وتاريخه، توفي عام (١١٧هـ) وبذا يُعَدُّ الحضرمي من أوائل النحاة، قيل عنه:(إنَّه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل)[١] ولذا وصفه النحاة بأنه (معلل النحو)[٢].

وانماز الحضرمي بالاستقرار الدقيق، وكانت إجاباته تنمُّ عن فهم عميق لمسائل اللغة وفلسفتها وتدل على اهتمامه بالتعليل وولعه به، جاء في طبقات الزبيدي أن (يونس ابن حبيب سأل الحضرمي عن كلمة السويق - وهو الناعم من دقيق الحنطة - هل ينطقها أحد من العرب (الصويق) بالصاد؟ فأجابه نعم. قبيلة عمرو بن تميم تقولها، ثم قال له: وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطرد وينقاس)[٣].

وهنا نجد أن إجابته مبنية على التعليل الذي يفسره. وهي (محاولة تعليمية المراد منها تمرين الطالب على أعمال فكره، لإخراج كل فاعل مثلاً مرفوعاً وكل مفعول به منصوباً، وكل مضاف إليه مجروراً، وهلم جراً، وليس المقصود تلك التي عرفت فيما بعد في النحو بالعلة الأولى والعلة الثانية والعلة الثالثة)[٤].

وكان الحضرمي كثيراً ما يخطّئ الفرزدق الشاعر من الناحية الإعرابية.

إذ يروى أن عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي سمع الفرزدق يمدح الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك:

**مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثورِ**

**على عمائمنا يلقى وأرحلنا ... على زواحف تزجي مخها ريرِ**[٥]

فقال له: أسأت إنما هو (مخها ريرُ بالرفع مشيراً إلى قياس النحو في هذا التعبير. لأنه يتكون من مبتدأ وخبر، وما زال ينحى على الفرزدق باللائمة حتى جعل الشطر (على زواحف نزجيها محاسير).

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي: ١٤/١، دار المعارف، مصر الطبعة الأولى، بلا ت.

(٢) تاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات : ٣٦٢، ط٦، القاهرة /١٩٣٥.

(٣) طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد الزبيدي، ٢٤. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر.

(٤) تجديد النحو - عفيف دمشقية : ١٢٣، ط١، بيروت، ١٩٧٦.

(٥) المدارس النحوية - شوقي ضيف : ٢٤.ومعنى مخها رير وصف لأبلهم أي ذاب مخها فكأنه ماء ذاب وفسد لشدة تعبها، ينظر تاج العروس : مادة (رير) ٣٩٤/١١ .

وكانت مراجعات الحضرمي المستمرة للفرزدق تغضبه فهجاه قائلاً:

**فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالياً**

وما كاد يسمعه منه حتى قال له: أخطأت أخطأت، إنما هو مولى موالٍ[١]. فهو يريد أن يبين له بأنه قد أخطأ في إجرائه كلمة موال المضافة مجرى الممنوع من الصرف، إذ جرها بالفتحة وكان ينبغي أن يصرفها قياساً على ما نطق بها العرب في مثل جوارٍ وغواشٍ، إذ يحذفون الياء منونين في الجر والرفع[٢].

فنجد من هذه المحاورات المتعددة بين الحضرمي والفرزدق، أن الأول كان يحتكم للقياس في تعليل الظواهر اللغوية. وبذلك جعل التعليل مصدراً لتخريج القاعدة النحوية وباباً معتبراً من أبواب الاجتهاد في النحو.

**٢) أبو عمرو بن العلاء. (ت ١٥٤هـ)**

هو مّمن عُنوا بالتعليل النحوي حذو شيخه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، توفي عام (١٥٤ه)، وكان (لغوياً وراوياً ثقة من رواة الشعر القديم أكثر منه نحوياً)[٣].

يقول عنه يونس بن حبيب: (وكان أبو عمرو يسلم للعرب ولا يطعن عليها)[٤].

وهو أشد تسليماً للعرب من غيره من النحويين، إذ يروى في الطبقات عن ابن أبي سعد قال:(قال بن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع في ما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات)[٥].

وكان أبو عمرو بن العلاء يتحاور مع عيسى بن عمر حول أوجه الاعراب في قراءة بعض الآيات، وكان لكل منهما تعليل من ذلك (خلافه مع عيسى بن عمر حول النصب أو الرفع في (المسك) من قولهم : (ليس الطيب إلا المسك )، وكل منهما يعلل برأيه[٦]، فأبو عمرو يرى الرفع بإهمال (ليس) حملاً على ما إذا جاء في

(١) الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ه) : ٩٠ /١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
(٢) المدارس النحوية - شوقي ضيف : ٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢٨.
(٤) الطبقات - الزبيدي: ٢٨.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) ينظر الأمالي - عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، ص ٢٤٢، تحقيق: عبد السلام هارون - الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

خبرها إلا، وعيسى بن عمر يرى النصب بإعمالها)[١].

ولذلك كان التعليل على لسان أبي عمرو بن العلاء، من ذلك ما رواه عنه الأصمعي قال فيما رواه عن أبي عمرو بن العلاء قال (والكلام لأبي عمرو ):(سمعت أعرابياً يقول: فلان لغوب، (أي أحمق). جاءته كتابي فاحتقرها، قال: فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ فقال: أليس بصحيفة؟ فحمله على المعنى)[٢].

ومما يعرف عن أبي عمرو نزوعه في تعليلاته إلى الخفة، من ذلك أنه ذهب إلى (أن حذف التنوين جائز لالتقاء ساكنين في مثل (هذه هندُ بنتُ عبدِ اللهِ فيمن صرف هندا لأنها بمنزلة اسم واحد لالتقاء الساكنين، ويحتج بما جاء في النداء مثل: يا زيدُ بنُ عبدِ الله، وقال هذا هو بمنزلة قولك: هذا امرؤٌ ومررت بامرئٍ ورأيت امرأً، تكون الراء تابعة للهمزة، فكذلك آخر الاسم الأول تابع لنون ابن وهو وابن شيء واحد، نقول: هذا زيدُ بنُ عبدِ اللهِ، ومررتُ بزيدِ بنِ عبدِاللهِ، ورأيتَ زيدَ بنَ عبدِ اللهِ)[٣].

ومما ذُكر نجد أن ابا عمرو كان يربط التعليل بالقاعدة النحوية. ليكون للسان العربي قواعد تعصمه من الزلل والخطأ.

**٣) سيبويه (ت ١٨٠هـ)**

عمرو بن عثمان، إمام المدينة البصرية وأخرج للناس كتابه الذي أكسبه فخار الأبد وهو شاهد صدق على علو كعبه في فن النحو.

وسنتناول التعليل عند سيبويه في كتابه، ومعنى ذلك أنه تناول التعليل عند أبي الخطاب والخليل ويونس وأبي زيد، وسنركز على التعليل عند سيبويه والخليل، الذي كان لا يملُّ لقاءه[٤].

حتى يروى أن كتاب سيبويه كان سجلاً لآراء الخليل بن أحمد في النحو. ولذا كثيراً ما يقول سيبويه (سألت الخليل وإذا أضمر فقال مثلا) سألته أو حدثني أو قال لي إنما يعني الخليل بن أحمد، وذلك مستفيض في الكتاب[٥].

---

(١) ظاهرة الإعراب في النحو وتطبيقها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت: ص٦٥، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الألباء، أبو البركات الأنباري: ٣٧ ،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، ١٩٦٧.

(٣) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد : ٣١٤/٢، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

(٤) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة المؤلف: الشيخ محمد الطنطاوي : ٥٤، المحقق: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي الطبعة: الأولى ٢٠٠٥م-١٤٢٦ه.

(٥) ينظر الكتاب: لسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان: ٣ /٤١٠ و ٤ / ٣٢٩ وغيرها كثير، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

وإنما تناولنا الخليل عن طريق كتاب سيبويه، لأنه لم يؤثر عليه أنه ترك مؤلفاً في النحو، ولأن للخليل بصمة واضحة في التعليل، إذ عدَّ النحويون كتاب سيبويه (أول بحث جامع للعلل النحوية)[١]. لكثرة آراء الخليل التعليلية فيه.

وكان التعليل النحوي قبل الخليل مقتصراً على تبرير القواعد، أما الخليل فإنه يسند دائماً ما يستنبطه من القواعد والأحكام، بالعلل التي تصور دقته في فقه الأسرار اللغوية والتركيبية التي استقرت في دخائل العرب من قديم[٢].

ووصفه الزجاجي بأنه (الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو تعليله)[٣].

فالخليل (استنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد وما لم يسبقه إليه سابق)[٤].

**فمن تعليلاته المبثوثه في كتاب سيبويه ما يأتي:**

١.جاء في كتاب سيبويه (خشنت بصدره، فالصدر في موضع نصب، والباء قد عملت، ومثله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم[٥]. إنما هو كفى الله، ولكن لما أدخلت الباء - أي بصدره - عملت الموضع موضع نصب، والمعنى معنى نصب، وهذا قول الخليل رحمه الله)[٦].

٢.روى سيبويه عن الخليل تردد المنادى بين البناء والإعراب فقال: (زعم الخليل - رحمه الله - أنهم نصبوا المضاف نحو: يا عبدَ اللهِ، ويا أخانا، والفكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحاً حين طال الكلام، كما نصبوا هو قبلك، وهو بعدك، ورفعوا المفرد كما رفعوا قبل وبعد، وموضعهما واحد، وذلك قولك يا زيد، ويا عمرو، وتركوا التنوين في المفرد، كما تركوه من قبل)[٧].

مما سبق نجد أن الخليل يعلل معتمداً على حسه اللغوي وعلى ما نطقت به العرب في كلامها، وهو يبتعد عن التعقيد ويؤثر الخفة، وفي ذلك كله (كان لا يتعصب لتعليلاته، بل يرى أن هذا رأيه ومن كان عنده رأي آخر فلا مانع من الأخذ به، إن كان أقرب إلى اللغة، وأبعد عن الفلسفة)[٨].

---

(١) النحو العربي - مازن المبارك : ٥١.

(٢) المدارس النحوية - شوقي ضيف : ٥١.

(٣) نزهة الألباء - الأنباري: ٤٥.

(٤) الطبقات - الزبيدي : ٤٧.

(٥) سورة الرعد : آية ٤٣ .

(٦) الكتاب: لسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان: ٤٨/١ .

(٧) المصدر نفسه: ١٨٣/٢.

(٨) ظاهرة الإعراب - أحمد سليمان ياقوت : ٦٦.

والخليل يؤكد أن هذه التعليلات هي من اختراعه، وليس للعرب بها علم حين نطقت بكلامها، وسنورد كلام الزجاجي الذي يبين هذا المعنى على طوله لفائدته، إذ قال (ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد - رحمه الله - سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ قال: إن العرب نطقت على سجيتها، وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة له. مثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحُّت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير ذلك العلة إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأتِ بها)[١].

**وننتقل إلى سيبويه تلميذ الخليل، وقد سار في التعليل على نهج شيخه من حيث الاعتناء بالمعنى والاهتمام بالحسّ اللغوي، نذكر منها ما يأتي:**

١. جاء في كتابه سيبويه (والجزم في الأفعال نظير الجرِّ في الأسماء ومن ثم لم يضمروا الجازم: كما لم يضمروا الجار)[٢]. فسيبويه يعلل اختصاص الجزم بالأفعال والجر بالأسماء فيناظر بين أحكامهما.

٢. جاء في كتابه سيبويه (فإنك تقول إنَّ عبدَ اللهِ ليفعلُ كما تقولُ إنَّ عبدَ الله لفاعلٌ، في ما تريد من معنى فإنك تلحق به لام الابتداء، كما ألحقتها باسم الفاعل في نفس العبارتين المذكورتين، وهي لا تدخل إلا على الأسماء ويمتنع دخولها على الأفعال الماضية، وبهذا كله استحق المضارع أن يعرب وأن يدخل على آخره الرفع والنصب والجزم)[٣]. فهو يعلل لاعراب المضارع وتسميته باسمه بأنه يضارع أو يشابه اسم الفاعل في معناه ووقوعه موقعه.

فسيبويه ربط في تعليله للنحو العربي بين نظام اللغة بنصوصها المتباينة، ونظام النحو بتصوراته وأحكامه فالتعليل في كتاب سيبويه منهجه التناظر ومراعاة سياق الحال وكثرة الاستعمال والمعنى[٤].

---

(١) الإيضاح في علل النحو: ٦٥-٦٦ .

(٢) الكتاب : ٩/٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦١/١.

(٤) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين - د.حسن خميس سعيد الملخ :ص ٤٣-٤٤ .

**٤) محمد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٥هـ)**

هو من أقطاب المدرسة البصرية وأعمدتها الراسخة، وكان المبرِّد يتخذ من التعليل سلاحاً في مناقشة الآراء النحوية، إذ كان (يحتكم دائماً إلى القياس، ولكنه لم يكن يقدمه على السماع عن العرب بحيث يرفض ما ورد على ألسنتهم، أو قل على أكثر ألسنتهم، فقد يردُّ ما يخالف الكثرة الدائرة في أفواههم، ولكن حين لا توجد هذه الكثرة كان يفسح للقياس)[١].

**وسنقف على بعض تعليلاته، وهي كما يأتي:**

١. جاء في المقتضب:(اعلم أنّ قوماً يقولون أخذت الثلاثة دراهم يا فتى، وأخذت الخمسة عشر الدرهم، وأخذت العشرين الدرهم التي تعرف، وهذا خطأ فاحش، وعلة من يقول هذا الاعتلال الرواية، لا أنه يصيب له في قياس العربية نظيراً، ومما يبطل هذا القول أن الرواية عن العرب الفصحاء خلافه، فرواية برواية، والقياس حاكم بعد: أنه لا يضاف ما فيه الألف واللام)[٢].

فيعلل خطأ هذه التراكيب أن رواية العرب الفصحاء خلافه، وهو بعد ذلك يحتكم إلى القياس في التعليل.

٢. جاء في المقتضب:(واعلم أنَّ الأفعال يعني - المضارعة - إنما دخلها الإعراب لمضارعتها الأسماء، ولولا ذلك لم يجب أن يعرب منها شيء، وذلك أن الأسماء هي المعربة)[٣]. فهو يعلل إعراب الفعل المضارع لمشابهته للأسماء وأنها لولا مشابهة الأسماء لما أعربت.

**٥) أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)**

يعدُّ ابن السراج من أعمدة النحو العربي، وفي زمانه بلغ التعليل النحوي مرحلة متقدمة من الوضوح والبيان، وكان لابن السراج أثرٌ واضحٌ في توضيح ماهية العلل وأنواعها.

ولذا فهو يرى أن العلل على ضربين (ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب، كقولنا كل فاعل مرفوع، وضرب آخر يسمى علة العلة مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعا؟ والمفعول به منصوباً؟ ولم إذا تحركت الياء والواو، كان ما قبلهما مفتوحاً قلبتا ألفاً؟ وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب، وإنما تستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها، وتبين بها فضل هذه اللغة من اللغات)[٤].

فالنوع الأول غايته مشابهة وانتحاء سمت كلام العرب تصريفاً وتركيباً، وأما النوع الثاني والذي أسماه ابن السراج (علّة العلة) فهو يتجاوز (العلل الأول) لاكتشاف حكمة العرب في كلامها.

---

(١) المدارس النحوية - د. شوقي ضيف :ص١٣٢ .

(٢) المقتضب- المبرد،: ١٧٥/٢.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢.

(٤) أصول النحو - ابن السراج : ٣٥/١، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

**٦) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)**

عُنيَ الزجاجي بالعلل وأولاها من البحث والنظر والتدقيق كما لم يسبق لها من قبل، وقد فصل القول في العلل، جاء في الإيضاح: (اعلم أنّ العلل التي أودعها هذا الكتاب (ويقصد به الإيضاح على ثلاثة أضرب: منها ما كان مسطراً في كتب البصريين، والكوفيين بألفاظ مستغلقة صعبة، فعبرت عنها بألفاظ قريبة من فهم الناظرين في هذا الكتاب، فهذبتها وسهلت مراتبها والوقوف عليها.

وضرب منها مما استنبطته على أصول القوم واخترعه حسب ما أريت من الكلام ينساق فيه، والقياس يطرد عليه. وضرب منها مما أخذته من علمائنا الذين لقيتهم، وقرأت عليهم شفاهاً مما لم يسطر في كتاب ولا يكاد يوجد) [١].

فالعلل قبل الزجاجي تذكر عقب القواعد النحوية، وهكذا فعل الزجاجي في بيان العلة في المسألة النحوية، ولكنه زاد على سابقيه أنه أفرد للعلة بحثاً، وتناول العلة موضحاً لها ومبيناً وموجداً تقسيماً لها خالف به من سبقه، إذ جعل العلل على ثلاثة أقسام، وهي:

أ. العلل التعليمية: وعنده هي (التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب، لأنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظاً، وإنما سمعنا بعضاً فقسنا عليه نظيره، مثال ذلك أنا لما سمعنا (قامَ زيدٌ فهو قائمٌ و (ركب فهو راكب )، عرفنا اسم الفاعل فقلنا ذهب فهو ذاهب، وأكل فهو آكل وما أشبه ذلك، وهذا كثير جداً وفي الإيماء إليه كفاية لمن نظر في هذا العلم، فمن هذا النوع من العلل قولنا إن زيداً قائم، إن قيل! بم نصبتم زيداً؟ قلنا: بإن، لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر لأن كذلك علمناه ونعلمه، وكذلك قام زيد إن قيل: لم رفعتم زيداً، قلنا: لأنه فاعل اشتغل فعله به فرفعه، فهذا وما أشبهه من نوع التعليم، وبه ضبط كلام العرب) [٢].

وكلامه يدل على معرفته الواسعة لأحوال اللغة وفلسفتها، ودليل هذه المعرفة أنه سمى العلل الأولى، بالعلل التعليمية أي التي تحكم ظواهر اللغة، ولذا كل كلام شابه كلام العرب أو صحَّ قياسه عليه فهو منه.

ب) العلل القياسية: وهي القسم الثاني التي (تعلل حمل الكلام بعضه على بعض لشبه لفظي أو معنوي، كما في تعليل نصب اسم (إن بأنها ضارعت الفعل المتعدي فحملت عليه، وأعملت عمله) [٣].

وبهذه العلل للقياسية (أي الثواني): (يمكن أن نجاري العرب فنقيس على كلامهم ونكفل للغة استمرارها ونمائها) [٤].

---

(١) الإيضاح في علل النحو - الزجاجي : ٦٥.

(٢) الإيضاح في علل النحو : ٦٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المقتضب - المبرد : ١٧٥/٢.

ج) العلل الجدلية النظرية: وهي (كل علة بعد العلة القياسية كالبحث في وجه الشبه بين إن والفعل الذي ضارعته في العمل، وبأي فعل من الأفعال شبهت، ولم شبهت بالفعل الذي قدم مفعوله على فاعله) [١]. وهذه العلل (أي الجدلية) لا نصيب للنحو فيها ولا نفع للغة منها، فهي سبيل المتناظرين والمتفاخرين في باب الجدل الذي لا طائل تحته[٢].

**٧) أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)**

كان للتعليل حظٌ وافرٌ في بحوث ابن جني اللغوية، وأظهر اهتماماً به، إذ (وقف أمام علل النحو وقفة طويلة يدرس ويصف ويحلل ويصنف فأتى من ذلك بما لم يسبق إليه من قبل وما لم يلحق فيه من بعد) [٣].

**وهذا ما نجده في كتاب (الخصائص)، إذ جعل العلة أبواباً كثيرة نذكر منها الآتي:**

- باب علل العربية أكلامية هي أم فقهية.
- باب في تخصيص العلل.
- باب في ذكر الفرق بين العلة الموجبة والعلة المجوزة.
- باب في تعارض العلل.
- باب العلة وعلة العلة[٤].

والقائمة طويلة في أبواب هذا الكتاب (الخصائص) التي تناولت العلل. وقد تناول فيها الموازنة بين العلل النحوية وبين علل الفقهاء والمتكلمين وذلك عن طريق ضرب الشواهد الكثيرة من كلام العرب.

وكان من دأب ابن جني أن يبّين حكمة العرب في لغتهم ويرد على من أراد الإطاحة بعللهم أو ادعى ضعفها، ولذلك أفرد له باباً خاصاً أسماه (باب في الرد على من أعتقد فساد علل النحويين بضعفه هو في نفسه عن أحكام العلة) [٥].

**ورأى ابن جني في أثناء بحثه العلل، أن العرب لاحظت عللاً في كلامها وهي:**

أ. أمن اللبس: وهي من أهم العلل في اللغة على الإطلاق فالمتكلم يريد أن يفهم وإذا كان هناك لبس يحاول بما أوتي من سلامة الحسّ أن يتخطاه، ولذا يقول (قال أبو اسحاق في رفع الفاعل، ونصب المفعول: إنما فعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال: فإن قيل: فهلا عكست الحال فكانت فرقاً أيضاً؟ قيل:

---

(١) العلة النحوية - مازن المبارك : ٦٥، دار الفكر، بيروت، ط ٣ ، ١٩٧٤م.

(٢) ينظر النحو العربي - مازن المبارك : ٩٥.

(٣) النحو العربي - مازن المبارك : ١٢٠.

(٤) تنظر فهارس كتاب الخصائص .

(٥) الخصائص : ١٨٤/١ .

الذي فعلوه أحزم، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلّته، ونصب المفعول لكثرته، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلونه، ويكثر في كلامهم ما يستخفّون، فجرى ذلك في وجوبه، ووضوح أمره مجرى شكر المنعم، وذم المسيء في انطواء الأنفس عليه وزوال اختلافها فيه)[١]. والمعنى أن الكلام الواضح لا مرية فيه، ولا لبس على سامعه منه.

ب) تحري الخفة ونبذ الاستثقال: ويرى ابن جني أن العرب تراعي هذه العلة، وقد أشار في كلامه السابق إليها حين قال (وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون)[٢].

وقد عقد باباً في خصائصه أسماه (باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف)[٣].

ج) مراعاة المعنى: وقد أورد هذه العلة على أقسام عديدة وهي:

- مضاهاة الجرس للمعنى: وفي هذا الشأن يقوله:(ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف)[٤].

د) تصاقب الألفاظ لتصاقُب المعاني: وهذا من أبواب كتابه ويقول فيه: (أكثر كلام العرب عليه من ذلك قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً)[٥]، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً والهمزة أخت الهاء، فتتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء)[٦].

وهكذا يبين أبو الفتح ابن جني علل كلام العرب ويذكر عللاً أخرى يضيق المحل عن سردها مع أمثلتها ولذا سنكتفي بما ذكرنا. والذي يشار إليه في هذا المقام أن لأبي الفتح ابن جني بحوثاً في التعليل أبلغته طور النضج والاكتمال وكان من بعده، مستنداً ومتكئاً على ما أورده في كتبه، لا سيما كتاب الخصائص.

---

(١) الخصائص - ابن جني : ٤٩/١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ١٨/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٦٥/١.

(٥) سورة مريم : آية ٨٣ .

(٦) نفسه : ١٤٥/٢.

**ح) أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ):**

نقل الأنباري في كتبه ما يدل على وجود التعليل في كلام العرب وذلك في أكثر من موضع[١].

وقد تناول الأنباري العلل التعلمية والقياسية والجدلية، وتعد العلل الجدلية النظرية من التعليلات التي كثرت عنده، وغالى في تتبعها والبحث عنها ولقد أكثر من الاستعانة بهذا الضرب من التعليل في كتابه (أسرار العربية ).

قال أبو البركات:(إن قال قائل ما العامل في المفعول له النصب، قيل العامل في المفعول له الفعل الذي قبله، نحو (جئتُكَ طمعاً في بِرِّكَ وقصدتُكَ ابتغاءَ معروفِكَ)، وكان الأصل فيه جئتُك للطمعِ في بِرِّكَ وقصدتُكَ لابتغاءِ معروفِك، إلا أنه حذف اللام فاتصل الفعل به فنصبه فإن قيل فلم تعدى إليه الفعل اللازم كالمتعدي، قيل لأن العاقل لما كان لا يفعل شيئاً إلا لعلة وهي علة للفعل وعذر لوقوعه كان في الفعل دلالة عليه فلما كان فيه دلالة عليه تعدى إليه) [٢].

فهو يتمحل في تعليل ظواهر اللغة العربية، إذ (تناول العلل التعليمية والقياسية والجدلية، فالكتاب قائم على التعليل الغائي والجدلي ولا غرابة في ذلك وثقافة الأنباري الجدلية والمنطقية والكلامية معروفة، فكان طبيعياً أن يوغل في هذا الميدان وأن يزيد على ما أورده السابقون فيه) [٣].

بل من النحويين من أنكر هذه التعليلات، فقال:(تعليلات الأنباري منها ما هو مقبول مستند إلى طبيعة اللغة، ومنها ما لا مانع من قبولها إلا أنه لا دليل على أنها هي العلة التي راعتها العرب) [٤].

**٩- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)**

تابع أبو البقاء العكبري ابن الأنباري في إلحاق القياس النحوي بالقياس الفقهي، فرفض أن تحمل (كم) الخبرية على (ربّ) لعلة النقيض لأن اتحاد العلة شرط عنده في القياس ،فقال (ومعظم النحويّين يَقُول حُملت على نقيضتها وَهِي (ربّ) والحقُّ مَا خبرتك بِهِ وَهُوَ معنى كَلَامهم لأنَّهم لَا يعنون أنَّ حكم الشَّيْئَيْنِ وَاحِد لعلَّة تضادّهما بل بَين الضدَّين معنى يَشْتَرِكَانِ فِيهِ[٥].

---

(١) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، كمسألة كلا وكلتا ومسألة القول في المؤنث بغير علامة:١/ ٢٦٧-٢٧٢-٢٩٨، ٢/ ٤٠٢-٤٤٠-٤٦٩ .

(٢) أسرار العربية - أبو البركات الأنباري : ١/ ١٧٣.

(٣) أصول النحو دراسة في فكر الأنباري - محمد سالم صالح: ٣٥٨-٣٥٩، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر،٢٠٠٦م.

(٤) أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية - د. فاضل صالح السامرائي : ١٩١.

(٥) اللباب في علل البناء والإعراب : ١/ ٣١٤ .

فهو مولع بإيراد العلة لأن (التُّفوس تأنس بثبوتِ الحكمِ لِعلّةٍ فلا يَنبغي أن يَزول ذلك الأُنس) [١]. ولذا رتب العكبري النحو العربي على وفق منهج التعليل في كتابه (اللباب في علل البناء والاعراب تناول فيه أبواب النحو العربي كلها تقريبا ،كل باب بقدر ما فيه من العلل[٢].

فنجد العكبري توسع في باب (لا) النافية للجنس في عشرين صفحة، لكثرة العلل في أحكامها في حين اختصر باب المفعول له ولم يتجاوز اثني عشر سطراً ؛ لأنه لم يحتج الى التعليل [٣].

* * *

(١) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ): ١/ ١٨٩، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي : ص٧٦.

(٣) ينظر المصدر نفسه : ص٧٧.

## المبحث الثالث

## التعليل عند النحاة المحدثين

بعد أن ذكرنا التعليل عند أئمة النحو القدامى كان لزاماً علينا أن نبّين التعليل عند النحاة المحدثين، وسنذكرهم معتمدين على تسلسلهم الزمني وهم على النحو الآتي:

**١- الأُستاذ علي النجدي ناصف (ولد بمصر عام ١٨٩٨م - وتوفي عام ١٩٨٢م)**

ممن تناول العلة النحوية الدكتور علي النجدي مدافعاً عن فلسفة النحو وعلله فقال (أنضيق بفلسفته ؟ وكيف ؟ وكل شيء من الثقافة اللغوية، والدينية قد دخلت الفلسفة وأثرت فيه، وصبغته بصبغتها ... أم نضيق بعلله، وحجج المختلفين فيه ؟ وكيف؟ ومن طبع الإنسان البحث عن الأسرار، والسؤال عن المجهولات، والإنكار في الحجاج، فالنحاة بما أُتوا من هذا إنما يستجيبون للطبع المستنير في استنباط المسائل، وعرضها على الناس، فترضى العقول وتطمئن القلوب وتأخذ ما تأخذ عن بينة، وتدع ما تدع عن بينة [١].

وكان لسعة اطلاعه أثر في دفاعه عن فلسفة النحو وعلله ووجوب تجديد النظر في العلة النحوية فيقول: (ونُرجعُ النظر في علله -يعني النحو- لا نبقي منها إلا ما يتصل بالمعنى، ويتفق مع طبيعة البيان الرفيع، والذوق الصحيح [٢].

فهو يرى أن علل النحو ليست على درجة واحدة من الصحة والقوة [٣].

**٢- الدكتور مهدي محمد صالح المخزومي (ولد بالعراق عام ١٩١٧م -وتوفي ١٩٩٣م)**

من الكتب التي عنيت بالتجديد والتيسير في نحو العربية كتاب (في النحو العربي : قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي والذي نشر عام ١٩٦٦م، وفيه يقول:(هذا كتاب في النحو أقدمه بين يدي الدارسين مبرأٌ مما علق بالحو طوال عشرة قرون من شوائب ليست من طبيعته ولا من منهجه، فقد ألغيتُ منه فكرة العامل إلغاءً تاماً وألغي معها ما أستتبعت من اعتبارات عقلية لا أصل لها في الدرس النحوي، وأبطلت فيها

(١) سيبويه إمام النحاة - علي النجدي ناصف : ص٤٠، الناشر عالم الكتب، مصر ،١٩٧٩م

(٢) المصدر نفسه : ص٤٢،

(٣) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين - د.حسن خميس سعيد: ص ٢٢٢.

جميع التعليلات التي لا تستند الى استعمال، وحذفت من فصوله فصولاً لم تكن لتكون لولا شغف النحاة بالجدل العقلي وتمسكهم بفكرة العمل ... متخذاً من أراء الدارسين الأولين أساس لدراسة النحو من أول [١].

وهو يصف النحو في القرن الرابع الهجري بأنه (في متاهة من التعليلات والتفسيرات التي لا تمت الى اللغة بصلة [٢]، بل تصل به الجراءة بوصف هذه التعليلات ب(التفاهة )[٣].

وهو بهذا يرفض التعليل ويرى أن قرائن الحال تغني عن تقدير المحذوف كقولك محذراً (السيارةَ السيارةَ)، وكل ما يُعلم فحذفه جائز اكتفاءً بدلالة القرائن[٤].

فهو يكتفي بتسمية الكلمة فاعلاً أو مفعولاً أو خبراً أو ما شابه، ثم يذكر الحكم الأعرابي ويمنع النحوي حقه في تفسير الاحكام التي يقررها [٥].

فهو يختصر النحو بجعله أداة للتعليل مع أن التعليل هو أوضح وسائل التعليل في النحو، وقوله (هكذا قالت العرب ليس تعليلاً شافياً كافياً بل هي محاولة تفتقر الى الإقناع [٦].

**٣- الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح (ولد بالجزائر عام ١٩٢٧م - وتوفي ٢٠١٧م)**

من المؤمنين بنظرية التعليل النحوي بأصولها ومفاهيمها العربية الأصيلة الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح وهو إيمان مبنيٌ على ضوء التراث العربي الذي خلفه القدامى، ولكنه إيمان يراعي ضرورة قراءة هذا التراث قراءة واعية بعيدة عن التصورات التي دعا إليها المتأخرون وأساتذتهم الغربيون ممن أراد إسقاط صفات وتصورات لغاتهم الغربية على لغتنا العربية متجاهلين أن اختلاف اللغات معناه اختلاف الصفات والمفاهيم اللغوية .

فهو يدعو إلى قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط، وإنما بدراسة أبتستمولوجية (معرفيّة) دقيقة لمفاهيم أئمة النحو، وتصوراتهم وطرق تحليلهم، وبدون اسقاط أي تصور أخر لتصور للمتأخرين أو أساتذتهم الغربيين عليها[٧].

---

(١) في النحو العربي : القواعد والتطبيق - د.مهدي المخزومي : ص ١٥ -١٦،المكتبة العصرية،صيدا ،لبنان ١٩٦٤م.

(٢) اعلام في النحو - د. مهدي المخزومي :ص ٨٥، نشر دار الجاحظ ،بغداد ،١٩٨٠م .

(٣) المصدر نفسه : ص ١١١. .

(٤) نفسه : ص ١٥٠ .

(٥) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي : ص ٢٢٠ .

(٦) ينظر محاولات حديثة في تيسير النحو العربي - قاسم عبدالرضا كاصد : ٢٨٦ ، رسالة ماجستير جامعة البصرة - كلية الاداب - ١٩٨٤م.

(٧) النحو العربي ومنطق ارسطو - د. عبد الرحمن الحاج صالح : ص٣٩، نشر مجلة كلية الأداب، العدد الأول، الجزائر،١٩٧٠م.

وهو يرى أن النظرية النحوية عند أئمة النحو القدامى بنيت بمفاهيم دقيقة وسليمة وإنّ نحاة العربية هم أول من لجأ الى التقدير[١].

وتتبع الدكتور عبد الرحمن تطور علم اللسان البشري وأثبت أن نظرية النحو العربي عربية في جذورها وأصولها، فالتعليل نبع من اللغة العربية ولم يتأثر بمقولات المنطق إلا في القرن الرابع الهجري، وتمثل أصوله النظرية دقة علمية في البحث والتفسير[٢] .

**٤- الدكتور مازن المبارك (ولد بسوريا عام ١٩٣٠ م متعه الله بالصحة والعافية)**

تتبع الدكتور مازن المبارك العلل النحوية في نشأتها وتطورها ،فهو يرى أن من طبيعة الإنسان أن يسأل عن السبب ويستقصي العلة، ومن طبيعة العقل أن يتبع الجزئيات ويجمع ما تشابه منها ليطلق عليها حكماً عاماً فيصل بالظاهرة الى القاعدة العلمية، فالسؤال عن العلة كان قديماً ورافق التعليل الحكم النحوي منذ وجد [٣] .

وقد ذَكرَ الدكتور المبارك تعليلات أئمة النحو مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والخليل بن أحمد وسيبويه والأخفش مستعرضاً شيئاً من تعليلاتهم، وهو يصف هذه التعليلات بأنها بعيدة عن الفلسفة، قريبة من اللغة ومن حسّها الذي ينفر من القبح [٤]. و أن للأول فضل الإبداع والإيجاد لهذه العلل ولمن جاء بعده فضل التوسع والإكثار مما كان نزراً قليلاً[٥]. وهو يشير بذلك لعمل الخليل وتلميذه سيبويه .

وبيّن الدكتور المبارك أن المبرد جعل التعليل رديف الحكم النحوي وكيف أنه اهتم بالتعليل اهتماماً شديداً فهو سلاحه في المناقشة والبحث [٦]. وقد كان هذا دأب النحويين في تناول العلة النحوية الخلف بعد السلف الى نهاية القرن الثالث الهجري .

ثم يرى الدكتور المبارك أن النحو تأثر تأثراً قوياً بالمنطق اليوناني مبيناً أن السبب في ذلك هو النزعة المنطقية التي غزت الفكر الإسلامي بعد القرن الثالث الهجري، فأخذ بها وحرص عليها وحاول أن يصبَّ

---

(١) ينظر مدخل الى علم اللسان - د. عبد الرحمن الحاج صالح: ج ٢ / ص ٥٨-٥٩، نشر مجلة اللسانيات مركز البحث العلمى والتقنى لتطوير اللغة العربية، الجزائر العدد ١ للعام ١٩٧١م .

(٢) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين - د.حسن خميس سعيد: ص ٢٤٩ .

(٣) العلة النحوية - د. مازن المبارك : ص ٥٠، .

(٤) ينظر المصدر نفسه: ص ٥٣ -٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧.

(٥) ينظر العلة النحوية - د. مازن المبارك: ص ٦٣.

(٦) ينظر المصدر نفسه: ص ٦٧.

معظم نتائجه على وفق قوالبها ومن ذلك النتاج النحوي[١]. وبيّن أن بسبب صلة النحو بالعلوم عامة تسربت إليه فكرة العامل والنظر في العلة [٢]. لأنه ثبت لدى الفقهاء أن لكل حكم شرعي علة تتصل بمصلحة الأمة فسعوا الى توضيح هذه العلل، ثم الى القياس فقاسوا ما لم يعلل أو ينصّ عليه بأمر معلل قد نصّ عليه [٣].

وكتاب العلة النحوية كان وما يزال من المراجع الأَساس للعديد من الدراسات التي جاءت بعده، ولكن ممّا يشار إليه أنه أغفل جانبين أساسيين في دراسة العلة النحوية أولهما طبيعة العلة النحوية و أصولها، وثانيها موقف بعض المحدثين من العلة إلا ما جاء في سياق العرض التاريخي [٤].

* * *

(١) ينظر المصدر نفسه: ص ٧٣.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ص ٨٤.

(٣) ينظر أصول الفقه - : محمد الخضري بك: ص٤ ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى سنة النشر: ١٩٦٩م .

(٤) ينظر نظرية التعليل في النحو العربي : ص ٢٤ .

## الخاتمة

- تبدأ هذه المرحلة مع تاريخ وضع النحو العربي في القرن الثاني الهجري، فقد وجدت العلة سبيلها في النحو منذ عهد مبكر، ونسب أمر العناية بها الى عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ) .

- التعليل من الأصول النحوية التي استند إليها النحويون في إقامة نظريتهم النحوية، وإن تباينت طريقتهم في الاعتماد عليه بين التشديد والتساهل .

- التعليل ركنٌ ركين في فهم النظرية النحوية، ذلك أنَّ أغلب المسائل النحوية تحتاج إلى تعليل يوضّح سبب تقعيدها وما قد يؤول إليه أمرها من تفاصيل مبنية على أصل تقعيدها، وتاريخ نشأة العلة ملازم لتاريخ نشأة النحو، والتأليف فيه في القرن الثاني الهجري، وإن تطورها مرتبط بتطور النحو.

- وضع النحو العربي لبواعث عربية خالصة منها الدينية للمحافظة على لغة القرآن الكريم، وعصمة اللسان من ان يلحن أو يخطئ في القراءة القرآنية، ومنها القومية للحفاظ على اللغة العربية وعلى مفرداتها وتراكيبها والنطق بها، من اللحن الذي دبّ على الألسن، بعد دخول أمم غير عربية في الاسلام، كون العرب تعتز بلغتها وتقدسها، ومنها الاجتماعية وهي رسم اوضاع العربية في إعرابها وتصريفها، لتعليمها للناطقين بغير العربية بعد دخولهم الدين الاسلامي، ليتدبرو امورهم الدينية، فكانت نشأة العلة أيضاً استجابة لهذه الظروف والبواعث العربية الاسلامية معاً دون تأثير خارجي غير عربي.

- من غير المناسب أن يقال إن علماء اللغة العرب أخذوا التعليل عن المنطق اليوناني أو عن الفقهاء والمتكلمين فيه، فالعلة عربية اسلامية معًا من دون تأثير أعجميّ، وإن كان هناك تأثر في نشوء التعليل النحوي، فهو أثر من الفقه الاسلامي لا غير. فقد كان التعليل النحوي مواكباً في تطوره لتطور النحو العربي وتقعيده.

* * *

## المصادر

١- أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، د. فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير ،٢٠١٦ .

٢- أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، مطبعة دار الجيل، بيروت، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، ط١، ١٩٩٥.

٣- اصول التفكير النحوي - د.علي أبو المكارم :ص ١٦٢، القاهرة ،دار غريب للطباعة والنشر ،٢٠٠٦م .

٤- الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة : للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر ،٢٠٠٠م.

٥- أصول الفقه - محمد الخضري بك: الناشر: المكتبة التجارية الكبرى سنة النشر: ١٩٦٩م .

٦- أصول النحو، ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥.

٧- أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، محمد سالم صالح، مطبعة دار السلام، القاهرة، ٢٠٠١.

٨- أعلام في النحو - د. مهدي المخزومي، نشر دار الجاحظ ،بغداد ،١٩٨٠م .

٩- الأمالي - عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون ،الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ ه - ١٩٨٧ م.

١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.

١١- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا ت.

١٣- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط١، بيروت، ١٩٧٦.

١٤- تاريخ النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، ط٢، مصر، ١٩٦٩.

١٥- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) تحق: د. عبد الرحمن العثيمين : دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦- تجديد النحو - عفيف دمشقية، ط١، بيروت، ١٩٧٦.

١٧- الخصائص المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة، تحقيق محمد علي النجار.

١٨- سيبويه إمام النحاة - علي النجدي ناصف ، عالم الكتب، مصر ،١٩٧٩م

١٩- شرح المفصل للزمخشري- يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ): قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢٠- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .

٢١- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى ،بلا ت.

٢٢- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد الزبيدي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر الطبعة الأولى ،بلا ت.

٢٣- ظاهرة الإعراب في النحو وتطبيقها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣.

٢٤- العلة النحوية - مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٣ ،١٩٧٤م.

٢٥- في النحو العربي :القواعد والتطبيق- د.مهدي المخزومي،المكتبة العصرية، صيدا ،لبنان ١٩٦٤م.

٢٦- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٢٧- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

٢٨- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ): ١/ ١٤٨- ١٤٩ .تحق: د. عبد الإله النبهان : دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م

٢٩- محاولات حديثة في تيسير النحو العربي - قاسم عبدالرضا كاصد ،رسالة ماجستير جامعة البصرة - كلية الآداب - ١٩٨٤م.

٣٠- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣١- المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢.

٣٢- مدخل الى علم اللسان - د. عبد الرحمن الحاج صالح، نشر مجلة اللسانيات مركز البحث العلمى

والتقنى لتطوير اللغة العربية، الجزائر العدد ١ للعام ١٩٧١م.

٣٣- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٣٤- النحو العربي، د. مازن المبارك، المكتبة الحديثة، ط١، بيروت، ١٩٩٥.

٣٥- النحو العربي ومنطق ارسطو - د. عبد الرحمن الحاج صالح، نشر مجلة كلية الأداب، العدد الأول، الجزائر ،١٩٧٠م.

٣٦- نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين - د.حسن خميس سعيد الملخ ، دار الشروق، عمان - الأردن ،٢٠٠٠م.

٣٧- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، ١٩٦٧.

٣٨- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة المؤلف: الشيخ محمد الطنطاوي، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي الطبعة: الأولى ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

* * *